



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (1 - 12)

بقلم: رائف محمد الويشي

5 أبريل 2013

من هذه الحقائق الغير منتشرة عند مسلمي أهل السنة هي الأحاديث النبوية الصحيحة التي تؤكد على أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية ، وقد نجت تلك الأحاديث من التدمير رغم سعى السلطات الحاكمة الموالية للأمويين التخلص منها على مر العصور ..

علماؤنا - وهم على الأغلب واقعون تحت سيطرة الحكام - يرفضون هذه الحقائق ، ونقول لهم : " هذه مشكلتكم لأن أمهات كتبكم تنطق ، ورفضكم لا يغير من الحق ، تستطيعون أن تصعدوا على المنابر وتدلسوا على البسطاء ، كما فعلتم على مر التاريخ " ..

قال الله تعالى في آية رقم 66 من سورة الإسراء ما يلي :
" إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا " ..

وتفسير الآية الذي ورد في كثير من كتب السنة هو أن النبي رأى رؤيا في منامه أن بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساء ذلك ، وأخبر القريبيين منه بأن بني أمية سيستولون على الحكومة الإسلامية ظلماً وعدواناً غاصبين بذلك حق أهل البيت ..

قال الطبري - توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 8 ص 185) عن الآية المذكورة ما يلي :
" ومنه الرؤيا التي رآها النبي (ص) فوجم لها فما رؤى ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ، فذكروا أنه رأى نفرأ من بني أمية ينزون على منبره " .. النص طويل واستقطعنا منه المراد فقط

قال ابن أبي حديد - توفى في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 9 ص 220) عن الآية المذكورة ما يلي :
" ما روى عنه في تفسير ، قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ، فإن المفسرين قالوا : إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة ، فساء ذلك ثم قال : الشجرة الملعونة بنو أمية وبنو المغيرة ، ونحو قوله : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده حولا " ..

قال الشوكاني - توفى في عام 1250 هـ - في فتح القدير (ج 3 ص 240) عن الآية المذكورة ما يلي :
" وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة : أنها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله (ص) يقول لأبيك وجدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن ، وفي هذا نكارة لقولها يقول لأبيك وجدك ولعل جد مروان لم يدرك زمن النبوة " ..

وذكر أبو الفدا - توفى في عام 732 هـ - في تاريخه (ج 30 ص 87) عن الآية المذكورة ما يلي :
" من تاريخ القاضي شهاب الدين بن أبي الدم قال : وفيها أمر بكتابة الطعن في معاوية وابنه وأبيه وإباحة لعنهم وكان من جملة ما كتب في ذلك: بعد الحمد لله والصلاة على نبيه وأنه لما بعثه الله رسولا كان أشد الناس في مخالفته بنو أمية وأعظمهم في ذلك أبو سفيان ابن حرب وشيعته من بني أمية قال: الله تعالى في كتابه العزيز والشجرة الملعونة، اتفق المفسرون أنه أراد بها بني أمية " ..

ذكر ابن كثير - توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 6 ص 272) عن الآية المذكورة ما يلي :
" قال يعقوب بن سفيان : ثنا : أحمد بن محمد أبو محمد الزرقي ، ثنا : الزنجي - يعني مسلم بن خالد - عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله (ص) قال : رأيت في المنام بني الحكم - أو بني أبي العاص - ينزون على منبري كما

تنزو القردة ، قال : فما رأني رسول الله مستجمعا ضاحكا حتى توفي ..
وقال الثوري : عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب قال : رأى رسول الله (ص) بني أمية على منابرهم فسأه ذلك ، فأوحى إليه : إنما هي دنيا أعطوها ، فقربت به عينه وهي قوله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس " ..

أخرج ابن عساكر – توفي في 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 57 ص 265) عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال ما يلي :
" رأيت في النوم بني الحكم أو بني أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة ، قال : فما رأي النبي (ص) مستجمعا ضاحكا حتى توفي " ..

ذكر السيوطي – توفي في عام 911 هـ - في الدر المنثور (ج 4 ص 191) عن الآية المذكورة عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم ما يلي :
" سمعت رسول الله (ص) يقول لأبيك وجدك إنكم الشجرة ملعونة في القرآن " ..

ويضيف السيوطي في نفس المصدر (ج 4 ص 191) ما يلي :
" وأخرج ابن جرير ، عن سهل بن سعد قال : رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة ملعونة " ..

ذكر أبو يعلى الموصلي – توفي في عام 307 هـ - في مسنده (ج 11 ص 348) ما يلي :
" حدثنا : مصعب بن عبد الله ، قال : ، حدثني : ابن أبي حازم ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله (ص) رأى في المنام كان بني الحكم ينزون على منبره وينزلون فأصبح كالمغيظ ، وقال : ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة ، قال : فما رأي رسول الله (ص) مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات " ..

ذكر الحاكم – توفي في عام 405 هـ - في المستدرک (حديث رقم 8481) ما يلي :
" ومنها ما حدثناه : أبو أحمد علي بن محمد الأزرق بمرو ، ثنا : أبو جعفر محمد بن إسماعيل بن سالم الصانع بمكة ، ثنا : أحمد ابن محمد بن الوليد الأزرق مؤذن المسجد الحرام ، ثنا : مسلم بن خالد الزنجي ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : إني أريت في منامي كان بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة ، قال : فما رؤى النبي (ص) مستجمعا ضاحكا حتى توفي ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ..

وقد دفع هذا الكم الكبير من المفسرين أبا الفدا – توفي في عام 732 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 57) إلى القول بأن المفسرين قد اتفقوا في تفسيرهم على أن الآية المذكورة تخص بني أمية ، أي تشير إليهم على أنهم الشجرة ملعونة في القرآن ..

من هم بنو أمية ؟

كان نسب عبد مناف يعود دماء إبراهيمية ، وكان له أربعة أولاد ، وهم هاشم – عبد شمس - نوفل – المطلب ، وقد كان عبد شمس وذريته يحملون على هاشم وذريته ، وفيما يلي تفاصيل عن ذرية كل مهنا :

1- فرع هاشم : اسمه الحقيقي عمرو وأطلق عليه الاسم لشدة في المحن ، وقيل لكرمه بتهشيم الطعام للطيور لإطعامها ، ومنه قبيلة بني هاشم ، وكان له ولد أربعة أولاد ، وهم : عبد المطلب - نضلة – وأسد – أبو صيفى ، ولم يكن لهاشم من ذرية إلا من ولده عبد المطلب ..

2- فرع عبد شمس : وكان له سبعة من الأبناء ، وهم : أمية الأكبر - أمية الأصغر - عبد أمية – حبيب – نوفل - عبد العزى - ربيعة ..

أولاد أمية الأكبر : وكان له أربعة من الأبناء ، وهم ما يلي :

حرب (ومنه جاء صخر وهو أبو سفيان والد معاوية) - أبو العاص (ومنه جاء الحكم والد مروان ، وعفان والد عثمان) - ربيعة (عتبة وشيبة حملا اسمه) - وذكوان (يكنى بأبي عمرو ، ولد سفاحا من علاقة بين أمية ويهودية من أهل صفورية – شمال الناصرة

- بالشام ، ومنه جاء عقبة وابنه الوليد) ..

تقول كتب السيرة أن أمية الأكبر لم يكن عربيا ، بل كان روميا اشتراه عبد شمس وألصقه به فكبر يحمل اسمه ، كما كانت تلك العادات في ذلك الزمان ..

يقول ابن قتيبة الدينوري - توفي في 276 هـ - في المعارف (ص 86) ما يدل على أن أبا سفيان لم يكن عربيا ، فيقول ما يلي :
" كان أبو سفيان أعور العين ، من أصل غير عربي " ..

يقول أبو الفرج الأصفهاني - توفي في عام 365 هـ - في الأغاني أن أمية جاء يوما لزيارة أخيه ربيعة ، فلم يجده فواقع زوجته نضلة بنت أسماء الكلبية فحبلت منه عتبة ..

أول العداء عند الطبري :

ذكر الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 2 ص 180 / 181) عن أول ظهور للعداء بين أمية وهاشم كما يلي :

" عن هشام ابن محمد أنه قال : حدثني معروف بن الخربون المكي قال : حدثني رجل من آل عدوي بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه قال : قال وهب بن عبد قصي في إطعام هاشم قومه الثريد:
واعيا أن يقوم به أين ابيض ... تحمل هاشم ما ضاق عنه
من أرض الشام بالبر النفيض ... أناهم بالغرائر متأفات
وشاب الخبز باللحم الغريض ... فأوسع أهل مكة من عشيم
قال : فحسده أمية بن عبد شمس - وكان ذا مال - فتكلف أن يصنع صنيع هاشم. ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم لسنه وقدره ، ولم تدعه قريش واحفظوه ، قال : فإنني أنافرك على خمسين ناقة سود حذق تنحرها ببطن مكة ، والحلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي بذلك أمية وجعلا الكاهن الخزاعي بينهما ، فنفر هاشما عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره. وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة بين هاشم وأميه " ..

قال الطبري - توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 2 ص 252) ، وابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 2 ص 10) ، والمقرئزي - توفي في عام 1441 م - في النزاع والتخاصم (ص 10 / 11) أن هاشم وعبد شمس توأمان في بطن واحد ، وقد لصقت إبهام رجل هاشم في جبهة عبد شمس ، فلما نزع بالسيف أو المدية دمي المكان فتطيرت قريش ، فقالوا : سيكون بينهما وبين أولادهما السيف والدم إلى الأبد ..

استمرار العداء :

يقول الطبري في تاريخ الأمم والملوك (ج 2 ص 253) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج 2 ص 10) والمقرئزي في النزاع والتخاصم (ص 12) ما يلي :

" وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة ، فحسده أمية بن عبد شمس على رئاسته وإطعامه ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه ، فشممت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسين ناقة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ، وهو جد عمرو بن الحمق ، ومنزله بعسفان وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أوّل منه وآخر ، وأبو همهمة بذلك خابر ، ففضى لهاشم بالغبلة ، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه " ..

ويقول ابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 15 ص 231) أن أمية عاد بعد غربته القسرية التي امتدت لعشر سنوات ، وأراد أن يأخذ بثأره بمنافرة ثانية تكون مع الابن عبد المطلب ، فقد رحل هاشم واحتل عبد المطلب مكانه وصيته ومحبه للناس ، دارت المنافرة بينهما على سباق فرسين لكلّ منهما فرس ، وفرضت هذه المراهنة على المغلوب منهما مائة

ناقة ، وعشرة عبيد ، ومثلها من الإماء ، مع إجلاء سنة كاملة ، وجزّ الناصية ، فتمّ الموعد وانعقد المحضر من عموم قريش وحلفائها ، وتبارى الفرسان يطويان الأرض ، فتعالى الصياح من الحاضرين ، ولم يلبثوا طويلاً حتى رأوا جواد عبد المطلب يطوي المسافة ، ويقف على مركز الهدف قبل أن يصل إليه فرس منائيه أمية ، فتمّ الربح لعبد المطلب ، ورضخ أمية لتلك الشروط الثقيلة عليه ، فأخذ عبد المطلب النوق ووزعها على قريش ، وهكذا فعلت بالعبيد والإماء ، وأراد عبد المطلب أن يجرّ ناصية أمية تطبيقاً لكمال الشروط ، ولكنّ أمية افتدى جزّ ناصيته بأن يستعبده عبد المطلب عشر سنين ، وقبل عبد المطلب ذلك الفداء من أمية لعله يتذكّر أو يخشى ، فكان أمية بعد حشم عبد المطلب وعضاريطه عشر سنين ، والعضاريط جمع عضروط ، وهو الرجل الذي يخدم بطعامه بطنه..

يقول ابن أبي حديد في نفس المصدر (ج 9 ص 24) عن جعفر بن مكي الحاجب ، فيما سأل هو الآخر محمد بن سليمان حاجب

الحجاب أنه قال ما يلي :
" قال جعفر : سألت عمّا عنده في أمر عليّ وعثمان ؟ فقال : هذه عداوة قديمة النسب بين بني عبد شمس وبني هاشم ، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم ، وكان أبو سفيان يحسد محمداً (ص) وحاربه ، ولم تزل الثنتان -أي القبيلتان- متباغضتين وإن جمعتهما المنافية " ..

ويقول ابن أبي حديد في المصدر السابق (ج 3 ص 366) ، وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (ص 12 / 13) في نسب هاشم

وأمية على لسان معاوية ما يلي :
" وذكر الهيثم بن عدي في "كتاب المثالب " أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه ، وذكر أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية فقال له : من رأيت من عليّة قريش؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأميه بن عبد شمس ، فقال : صفهما لي ، فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوة وعز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب ، قال : فصف أمية ، قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان ، فقال : مه ، ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال : هذا شيء قلموه بعد وأحدثتموه ، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به " ..

ويضيف ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 3 ص 467) ما يلي :
" قال معاوية : أفرأيت أمية ، قال : نعم ، رأيت رجلاً آدم دميماً قصيراً أعمى ، يقال له نكد ، وإن فيه نكد ، فقال عثمان ، يكفيك من شر سماعه ، وأمر بإخراج الرجل " ..

يقول د. حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام (ج 1 ص 375) عن العداء بين بني هاشم وبني أمية ما يلي :
" كان العداء بينهم -أي بين بني هاشم وبين بني أمية قديماً منذ الجاهلية ولم يزد الإسلام إلا شدة، فبنو حرب لم ينسوا ما كان من حمزة وما كان من عليّ يوم بدر، كما أنّ بني هاشم لم ينسوا ما كان من هند يوم أحد " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : تدل إحدى الرسائل المتبادلة بين معاوية والإمام علي (ع) على الأصل الغير عربي لأمية ، وهذا نص الرسالة :
ذكر ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 219) أن معاوية أرسل رسالة إلى الإمام علي (ع) محاولاً إضفاء الشرعية على حكمه ومدلاً بذلك على أنهما يعودان إلى أصل واحد وهو عبد مناف ، فرد عليه الإمام علي بالرسالة التالية :
" ليس أمية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالتليق ، ولا الصريح كاللصيق ، ولا المحق كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم " .. ويقول علماء اللغة أن اللصيق هو ما ينسب إلى العائلة وهو ليس من صلبها ..
الملاحظة الثانية : ذكر محمد ابن إسحاق في السيرة (ص 153) شعرا ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 15 ص 231) لأبي طالب يشتكى فيه من اضطهاد عبد شمس لأبن أخيه عند بعثه ، وتدل الأبيات على نفس المعاني المنقولة في أمية:

توالى علينا موليانا كلاهما إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تراجماً كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً هما نبذانا مثل ما نبذ الخمر
قديماً أبوهم كان عبداً أجدنا بني أمية شهلاء (أي عيون غريبة) جاش بها البحر ..
الملاحظة الثالثة : جاء أبو العاص من ذكوان ، ومنه جاء عفان والد عثمان ، والحكم والد مروان ..) ..

تعود أصول نسب عبد مناف إلى إسماعيل (ع) ، لكن مفترق الطرق كان عند هاشم وعبد شمس ، قالت بعض الأخبار أن هاشم

كان توأماً لعبد شمس ، ومنذ هذه المرحلة شق التوأمان طريقهما على نقيض من الآخر ..

- كان هاشم يحمل الأخلاق الإبراهيمية ، بينما كان أخوه عبد شمس يحمل طبائع عدوانية ورثها عنه أبناؤه ..
- كان هاشم محبوباً من قريش ، بينما كان أخوه عبد شمس لا يحمل تلك المحبة ويحقد بسببها على أخيه ..
- كان لهاشم ولد واحد هو عبد المطلب ، بينما كان لعبد شمس أولاد كثيرون ورثوا الحقد من أبيهم على أولاد العم ..
- كسب هاشم رزقه من عمل الجاد بالتجارة ولمسافات طويلة ، بينما دخل السفاح كمصدر للرزق في فرع عبد شمس ..
- مات هاشم في ريعان شبابه في ظروف غامضة أثناء رحلة تجارية بالشام ، وعاش عبد شمس بعزوته بين أولاده العديدين ..

يقول ابن هشام الكلبي – توفى في عام 204 هـ - في مثالب العرب (ص 63) ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 3 ص 456) عن أم أمية نقلاً عن مولى رسول الله (ص) ما يلي :
" أم أمية الزرقاء ، كانت في الجاهلية من صواحب الرايات ، وكان أمية ممن اشتهر بالزنا وكذلك كان ابنه حرب " ..

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده (ج 8 ص 254) ، والألباني – توفى في عام 1999 م - في السلسلة الصحيحة (ج 4 ص 329 رقم الحديث 1749) عن أبي ذر أن رسول الله (ص) قال ما يلي :
" أول ما يغير سنتي رجل من بني أمية " ..

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده (حديث رقم 6672) ، والبيهقي – توفى في عام 458 هـ - في دلائل النبوة (حديث رقم 2825) ، وابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 6 ص 264) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في عام 852 هـ - في المطالب العالية (كاب الفتوح) ، والمتقى الهندي – توفى في عام 975 هـ - في كنز العمال (ج 14 ص 199) عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله قال ما يلي :
" لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي والمختار ، شر قبائل العرب بنو أمية ، وبنو حنيفة ، وثقيف " ..

وذكر الحاكم – توفى في عام 405 هـ - في المستدرک (ج 4 ص 479) عن أبي ذر أن النبي (ص) قال ما يلي :
" إذا بلغ بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله حولاً ، ومال الله دخلاً ، وكتاب الله دغلاً " ..

وذكر الطبري – توفى في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 8 ص 185) ، أبو يعلى الموصلي في مسنده (ج 11 ص 348) ، والبيهقي في دلائل النبوة (حديث رقم 2872) ، والحاكم في المستدرک (رقم الحديث 8481) ، وابن عساكر – توفى في 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 57 ص 256 / 257) ، وابن أبي حديد – توفى في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 9 ص 220) ، وابن كثير - توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 6 ص 272) ، ونور الدين بن أبي بكر الهيثمي – توفى في 807 هـ - في مجمع الزوائد (ج 5 ص 243) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في 852 هـ - في (كتاب الفتوح حديث رقم 4585) ، والسيوطي – توفى في 911 هـ - في الدر المنثور (ج 4 ص 191) ، والمتقى الهندي – توفى في 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 358) عن أبي هريرة أنه قال ما يلي :
" إنني أريت في منامي كأن بني أمية (بني الحكم بن أبي العاص في بعض النصوص) ينزون على منبري كما تنزو القردة ، قال : فما رؤى النبي (ص) مستجمعاً ضاحكاً حتى توفى " ..

إن القيم الأخلاقية العالية هي واحدة من أهم المعالم التي يحملها الإسلام إلى البشرية ، ولا نبالغ إذا قلنا أن الأمويين عندما سيطروا على مقاليد السلطة بمساعدة من عمر ابن الخطاب – ورغم ذلك قتلوه وكان أول ضحاياهم – قد شوّهوا تلك القيم بصورة حادة ، فكان من عاداتهم ما يلي :

- 1- شراء الذمم ..
- 2- تزوير الحديث لصالحهم..
- 3- الرذيلة وممارسة الدعارة ..
- 4- إشاعة الاضطراب بالمجتمعات ..
- 5- قتل للمعارضين ..

6- إجبار المسلمين على إطاعة الحاكم ولو كان ظالما بزعم أن ذلك من سنن النبي ..

لقد استمرت تلك الآفات الست في تواجدها بالمجتمعات الإسلامية ، وراها استفحلت بصورة كبيرة في حياتنا الحالية ، بل تعدى ذلك باستيراد بعض الأمم لتلك العادات ، بمعنى آخر فإنهم لوثوا العالم ..

كانت وسيلة إشغال المسلمين بالحروب كي يبعدوا عن مساءلة الخليفة الغارق في الفساد وتبذير أموال بيت المال على أقاربه وسيلة فعالة استخدمها عثمان بن عفان ابن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس ..

يقول البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 50 / 51) أن الخليفة الثالث عثمان في عام 34 هـ ولما طغ الكيل من المسلمين من أفعاله في توزيع المال على أقاربه شعر بأن الثورة قادمة فأراد إشغال الناس بنصيحة من أحد أعوانه – عبد الله بن عامر – بأن يرسل المسلمين إلى " الجهاد " ويطيّل إقامتهم بجبهات القتال ..

وقد فطن إلى ذلك أحد أقاربه من فرع ربيعة ، كان اسمه محمد بن أبي حذيفة ، ويبدو أن أبناء هذا الفرع لم يأخذوا من الرشاوى كأقرانهم من بني أمية وبني أبي العاص ، أخذ محمد ابن أبي حذيفة يقابل العائدين من جبهات القتال مع الروم ويقلبهم على عثمان ويتهمهم بالغباء ..

يقول البلاذري في المصدر السابق (ص 51) أن محمد ابن أبي حذيفة كان يوف الرجل العائد من القتال مع الروم فيسأله أمن الجهاد ؛ فيجيبه الرجل بنعم ، فيشير بإبهامه إلى ناحية الحجاز ويقول : لقد تركنا خلفنا الجهاد ، جهاد عثمان بن عفان ..

كانت وسيلة رفع المصاحف على الرماح التي اعتمدها معاوية بن صخر ابن حرب ابن أمية في صفين (37 هـ) هي أول وسيلة للخداع عند المسلمين ، واستخدمها معاوية للنجاة بجيشه من الهلاك من جند الحق بقيادة الإمام علي (ع) ، وقد حذر منها القائد والإمام علي في لحظتها ، إلا أن الطابور الخامس لمعاوية في جيشه والمتمثل في الأشعث بن قيس قد وقف في طريق الإمام علي (ع) ونجحت الخديعة ..

(ملاحظة : أسلم الأشعث بن قيس في زمن النبي (ص) لكنه ارتد بعد وفاته وأخذ يدعو إلى محاربة الإسلام ، كان سيدا على قبيلته في اليمن ، عاد إلى الإسلام بعد محاربه وأسر في عهد الخليفة الأولي أبي بكر ، أصبح الأشعث من المقربين بعد عودته إلى الإسلام من أبي بكر ، فتزوج من شقيقة أبي بكر ، لكنه انقلب على أبي بكر وتحالف مع عمر على قتل أبي بكر ، ندم أبو بكر في فراش موته على عدم قتل الأشعث بعد أن أيقن من سمه ، لكن الندم كان متأخرا ، ورحل أبو بكر مسموما على يد أقرب مساعديه وبمشاركة من بني أمية ..)

كانت وسيلة الاغتيال واحدة من أهم وسائل الأمويين في الخاص من عدوهم ، وقد تميزوا بها وذهب ضحيتها أهل البيت ، وهم أفضل الخلائق بعد الأنبياء ، وذهب ضحيتها أيضا مئات الآلاف من المسلمين ، وضمنهم خيرة أصحاب رسول الله (ص) ، كعمار بن ياسر الذي قال فيه النبي (ص) في الحديث المتواتر : " تقتله الفئة الباغية " ..

كان إغراق الحديث النبوي بالكذب الأموي لصيانة عهدهم الفاسد من الثورات بزعم أن النبي دعي المسلمين بالصبر الحاكم الظالم وعدم الخروج عليه وسيلة ناجعة أيضا (تعتبر هذه الخديعة بمثابة العمود الفقري للسلفيين ، وهم أهم مقاتلي الأمويين) ..

قال ابن أبي حديد – توفي في 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 358) عن إبراهيم بن محمد ابن عرفة المعروف بـ نبطويه أنه قال ما يلي :
" إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت أيام سبني أمية ، تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم .. "

(ملاحظة : يعتبر نبطويه من كبار المحدثين والنحويين والشعراء ، سكن بغداد ، كان ذا سنةٍ ودينٍ وفتوةٍ ومروءةٍ ، وحسن خلق ، ولد في عام 244 هـ ، توفي في عام 323 هـ) ..

ونطرح فيما يلي نماذج من هذا الزيف :

قال البخارى - توفى في عام 256 هـ - في صحيحه (ج 8 ص 87) عن عبد الله بن عمر أن النبي (ص) قال ما يلي :
" إنكم سترون بعدي إثرة وأموراً تتكرونها. قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم " ..

قال البخارى في صحيحه (ج 8 ص 87) عن عبد الله ابن عباس أن النبي (ص) قال ما يلي :
" من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا ميتة جاهلية " ..

قال البخارى في صحيحه (ج 2 ص 121) عن علقمة ابن وائل الحضرمي عن أبيه أنه قال ما يلي :
" قال : سألت مسلمة بن زيد الجعفي رسول الله فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا ! فما ترى؟ فاعرض عنه ، ثم سأله فاعرض عنه ، ثم سأله في الثانية أو الثالثة - فجدبه الأشعث بن قيس - وقال رسول الله : اسمعوا وأطيعوا فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم " ..

قال مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة) عن عجرة الأشجعي أنه قال ما يلي :
" قال سمعت رسول الله يقول انه ستكون هنات وهنات ، فإن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة فاضربوه بالسيف كأننا ما كان " ..

قال البخارى في صحيحه (ج 2 ص 122) عن أبي سعيد الخدرى أن النبي (ص) قال ما يلي :
" قال : قال رسول الله إذا بويع لخفيتين فاقتلوا الآخر منهما " ..

قال أحمد - توفى في عام 241 هـ - في مسنده (ج 2 ص 282) عن أبي هريرة أن النبي (ص) ما يلي :
" ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، ومن وجد ملجأ أو معاداً فليعذ به " ..

إن تلك الأحاديث الكاذبة التي تدعوننا إلى الصبر على الحكام الظالمين تتناقض مع سيرة النبي (ص) نفسه ، فهو من ثار على الظالمين في مكة ، وكان الأولى له أن يتقى شر ذلك !

ولو كانت تلك الأحاديث صحيحة لظهرت على السنة أصحاب رسول الله (ص) في حياته ، لكن الواقع يقول أنها تم تداولها في عهد الأمويين فقط ، وليس قبل ذلك ..

ولو كانت تلك الأحاديث صحيحة لحق لنا أن نسأل معاوية وزمرته من الأمويين : لماذا خرجتم على الإمام علي ابن أبي طالب؟! ألم يكن أولى أن تصبروا على ظلمه ، بفرض أنه كان ظالماً؟!!

ولو كانت تلك الأحاديث صحيحة لما تعارضت مع الآيات القرآنية ، ويمكن النظر في الآيات التالية لنرى التعارض معها :

- 1- الآية رقم 113 من سورة هود : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " ..
- 2- الآية رقم 13 من سورة الممتحنة : " يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم " ..
- 3- الآية رقم 22 من سورة المجادلة : " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم وعشيرتهم " ..

لو كانت تلك الأحاديث صحيحة لما تعارضت مع أحاديث أخرى تقول عكسها ، ولننظر فيما يلي :
قال مسلم - توفى في عام 261 هـ - في صحيحه (كتاب الإيمان - حديث رقم 70) ، وأحمد في مسنده (مسند المكثرين - حديث رقم 11034) عن أبي سعيد الخدرى أن النبي (ص) قال ما يلي :
" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " ..

قال مسلم في صحيحه (ج 1 ص 38 / 39) عن عبد الله ابن مسعود أن النبي (ص) قال ما يلي:

" ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ؛ ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن " ..

يقول ابن خلدون – توفى في عام 808 هـ - في مقدمته (ص 309) عن بني أمية ما يلي :
" لقد أعطى الأمويون الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا " ..

ونختم هذه الحلقة بالحديث الذي تنبأ فيه النبي (ص) بالمدة الزمنية للخلافة ، وما يليها من ملكية ستري في حياة المسلمين تأكل قلوبهم وتؤذي دينهم ، وهو الحديث الذي يعتبر من علامات النبوة الكبرى ..

أخرج أحمد في مسنده (توفى عام 241) ، والحاكم في المستدرک (توفى في عام 405 هـ) ، والترمذي في سننه (توفى في عام 279 هـ) ، وصححه الألباني أن النبي (ص) قال :
" الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضاً " فكان الإمام الحسن آخر الثلاثين عاما يوم انصرف الناس عنه ، وبُويع معاوية ..

(ملاحظة : مات النبي (ص) في ربيع أول من عام 11 هـ ، وكان آخر الخلفاء هو الإمام حسن (ع) الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بعد أن خذله جيشه وحققنا لدماء وأعراض المسلمين من الأمويين المشهورين بالقتل وهتك الأعراض ، وقد كان ذلك في ربيع أول من عام 41 ، وهذا هو تمام الثلاثين عاما التي ذكرها النبي) ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سواصل الحديث عن الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com